نيلس هاو.. القصائد و القصص هما كل ما أملك

عشق البساطة

الشاعر الدانماركي نيلس هاو: أنا محسوب على السذج التائهين الذين يطلبون المستحيل

❑ محمد سعيد الريحاني*

نيلس هاو شاعر وقاص دنماركي مرموق، واصدر عدة مجموعات شعرية طبعت في أكثر من بلد وترجمت لأكثر من لغة، وكان لنا معه هذا اللقاء:

❑ حين يسأل القارئ عن مضمون قصيدة أو ديوان شعري، ينصحه الشاعر بقراءته بنفسه لما في القراءة من نجاعة في فهم النص وإنتاج نصوص أخرى موازية من خلال التفكيك والتركيب. لكن حين يتعلق الأمر بالتنقيب في مسار الشاعر ذاته، آنذاك يفرك القارئ يديه استعدادا للحظوة بشرف لن يستطيع الشاعر صرفه عن الظفر به.

○ هذا أسلوب طريف في تقديم سؤال افتتاحي رفيع. احتراماتي! دخلت عالم الكتابة منذ سنوات ونسيت تقريبا السبب الذي من اجله بدأت الكتابة.

فقط بطرحك هذا السؤال تذكرت أولى الأسباب: بدأت الكتابة لتقديم ذاتي، لأكتشف ماذا يجري وأعبر عنه بكلماتي الشخصية. ولا زال هذا هو طموحي العميق والمقلق: أن أجد الكلمات المناسبة التي يسمونها إلهاما. لذلك، فجوابي على سؤالك سيكون: نصوصي الشعرية والسردية هي التقديم الصادق الوحيد الذي يمكنه رسم معالم حضوري ورؤاي.

❑ أصدرت ثلاث مجاميع قصصية كما أصدر خمسة دواوين شعرية. كيف يرى نيلس هاو الشاعر القصة؟ وكيف يرى القاص الشعر؟

○ بالنسبة لي، ليس ثمة تصادم بين الشخصيتين. الشعر والسرد حقلان أدبيان مختلفان والانتماء إليهما مثل الانتماء إلى عائلتين.

في السرد، أنتمي إلى عائلة أنطوان تشيخوف. وفي عائلتي الشعرية، لدي أعمام وإخوة بكر من طينة تشيسلاف ميلوز والموراي وأخرين.

❑ كيف يموقع نيلس هاو تجربته الشعرية داخل الإنتاج الأدبي الدانمركي؟ وهي مميزات الأدب الدانمركي خصوصا والأدب الأوروبية الأخرى؟

○ كما تعلم، الأدب السكانديناقي المكتوب هو تقليد يعود إلى الأغاني والقصص البطولية المكتوبة باللغة السكاندينافية القديمة، النورص. مقارنة مع تقاليد الكتابة في الأدب العربي، الأدب السكانديناقي المكتوب يبقى تقليدا قصيرا زمنيا. هذا أعلمه، لكن حتى ثمانمائة أو تسعمائة سنة من الوجود هي بكل تأكيد زمن غير يسير.

قبل سنوات، طلب مني ناشر أن أنجز أنطولوجيا تجمع أهم القصائد الشعرية الدانمركية التي كتبت في تاريخ الأدب الدانمركي، ببيليوغرافيا شعرية. الكتاب يتضمن أزيد من 100 شاعر وشاعرة وأكثر من 350 قصيدة كتبت على مدى 800 سنة من عمر الأدب الدانمركي المكتوب. أعتقد أن المهمة ستفيدني كثيرا في اكتشاف جوانب الأصالة في أدبنا.

الدانمرك دولة شعب صغير تحيط به المياه من أغلب جوانبه. الدانمركيون كانوا إما فلاحين او بحارة ولدلك عكس شعرهم تجاربهم القادمة إما من الحقول أو من البحر لكن بمعجم ديني.

في الشعر الدانمركي الحديث، ثمة مدرستان على الأقل: الأولى أكثر ميلا للغة الشعرية على الطريقة الأمريكية؛ والثانية أكثر التصاقا بالواقع ما دام حالة البؤس في العالم تفرض علينا التفكير سياسيا كما كتبت في هده القصيدة:

"مرة، كتبت بريشتي قصائد تافهة
قصائد خالصة حول لا شيء
على الإطلاق لكن، الآن، أنا موله بهذا
البعر على ورقي سواء كان نحيبا أو
شهيقا."

❑ يغلب على نصوصكم المعجم البسيط والصور البسيطة والإيقاع البسيط والفكرة البسيطة... هل هو ميل "للبساطة" كمنحى تواصلي أفقي أم هو ميل "للتبسيط" كخلفية تواصلية عمودية؟

○ أنا أعشق البساطة. البساطة في هي ذاتها البساطة فيك. نحن جميعا نمشي على سطح نفس الكرة الأرضية. لدينا نفس نماذج الأسئلة الوجودية. عموما، لدينا اللغة، أي الكلمات البسيطة للتعبير عن أهم التجارب في حياتنا الإنسانية. في قصائدي، لا أرغب في التحليق في الأعالي. أفضل، عوض ذلك، الالتصاق بالواقع.

"مهمتنا تتطلب التعرف على
تجاربنا المشتركة؛
الرعب والبؤس يترصدان بنا
يتشبثان بأطراف ملابسنا
ويتسللان إلى أجسادنا
ليتحققوا مما يجري
وليقولوا الحقيقة".

❑ الدارس لتجربتكم الشعرية ينتبه بالضرورة لهيمنة السخرية الوظيفية على قصائدكم. لماذا السخرية؟

○ من يستطيع تحمل الحياة دون مزاح أو سخرية؟ لكن حين تتقدم المدرعات الحربية وتقاطر دماء البشر من أغصان الأشجار، لا مجال حينئذ للمزاح والسخرية. لكن الأمر محزن ومثير للسخرية أن نكون 6 مليارات نسمة على هذا الكوكب، ولكننا وحيدون رغم أننا إذا ما أردنا فبإمكاننا إن نجعل من هذه الحياة حياة أخرى أفضل. لكننا لحد الساعة لم نفعل شيئا في هذا الاتجاه: نقيم الحدود بين الأمم والأديان والأعراق. عبث في عبث ولذلك فالسخرية من الذات أمرا مستحبا.

صحيح أن الوقت لا زال مبكرا على اليأس والاستسلام فأنا محسوب على السذج التائهين طلبا للمستحيل.

❑ في زمن التقارب بين الثقافات والحضارات، هل استثمرتم هذا المكسب التاريخي الذي تشهده الإنسانية حاليا واطلعتم على الأدب العربي، الأدب الذي أنتج "ألف ليلة وليلة" أول رواية في تاريخ الأدب الإنساني؟أو نجيب محفوظ الحائز على جائزة نوبل للآداب؟ أو الطاهر بنجلون أو نبيل معلوف الحائزين معا على جائزة الغونكور الفرنسية؟ أو محمد شكري المقروء في أزيد من أربعة وعشرين لغة حية؟ أو أدونيس؟ أو محمود درويش؟...

○ لدينا طبعة نرويجية رائعة من "ألف ليلة وليلة" في بيتنا. هذا التقليد العربي أسس لمستوى راق من السرد. أعرف نجيب محفوظ، الطاهر بنجلون وآخرين قلائل. أهم ما في التبادل الثقافي هو الترجمة. نحن في حاجة على ترجمات. الكتاب العرب لديهم رأسمال باهر من المعارف والإبداع لإهدائه للعالم. صديقي العزيز سليم العبدلي هو الآن بصدد ترجمة أشعر أدونيس للغة الدانماركية ونحن على أحر الجمر لقراءة هده الترجمة ومعرفة الكثير عن الشعر العربي.

❑ بعد الترجمات الأولى لنصوصكم الشعرية إلى اللغة العربية، تابعتم شخصيا الحفاوة الكبيرة التي حظيت بها قصائدكم. ففي ظرف ثلاثة أيام نشر نص "دفاعا عن الشعراء" على العشرات من المنابر الثقافية العربية. بل إن إجراء هذا الحوار جاء بناء على طلب القراء الذين راسلونا حبا في التعرف عليكم عن قرب. إلى ماذا ترجعون دلك؟

○ لا اعرف. انا سعيد لسماع ذلك ولكنني لا أستطيع الجواب على سؤالك. أنا منبهر لمستوى قرائكم ولاهتمامهم.

❑ الأدب الدانمركي هو بوابة القراء اسكانديناقيين من الجنوب. هل فكرتم، كأديب دانمركي، في دعم المبادرات القليلة في الدانمرك التي تترجم أعمالا أدبية عربية إلى اللغة الدانمركية؟ أم أن البعد الجغرافي كاف لتبرير التباعد الثقافي؟

○ أنا فرح لوجود بعض الجهود الداعمة للمزيد من الترجمات لكن الأمر لا زال رهين إصدارات قليلة. الهجرة خلال الربع الاخير من القرن الماضي وفرت للدول السكانديناقية طاقات من مختلف بقاع العالم. أنا بدوري أقيم مع عائلتي في نوريبرو، وهو حي في العاصمة كوبنهاغن حيث تتجمع إثنيات مختلفة.

كل يوم في الشوارع والدكاكين ألتقي بأناس من اصول باكستانية أو صومالية أو عراقية أو هندية أو مغربية او تركية... ولكنهم كلهم دانمركيون ومنهم من صار صديقا لي ومظاهرهم غيرت الثقافة الدانمركية. في المستقبل القريب، سيصبح لزاما علينا إعادة تحديد مفهوم كلمة "دانمركي". كم سيتطلب من الوقت حتى تصبح "البيتزا" و"الشوارما" و"الاسكندر كباب" دانمركية؟ مجرد سنوات قليلة.

"الفلافل" السكانديناقية هي مزيج من ثقافات متعددة ونفس الأمر بالنسبة للأدب والفن الدانمركي. التغير والتغيير ساري المفعول ونحن هنا نستمتع بعصر جديد.

❑ أنتم تعلمون أن الترجمة الأدبية ليست مهمة كل من يجيد لغتين: لغة النص الأصلية ولغة القارئ المترجم له. دلك أن الترجمات من هذا النوع تكون في الغالب "ترجمة لمعجم النص". بينما تبقى الترجمة التي يشرف عليها المبدع "ترجمة لقوة النص" لكونها ترجمة ينجزها فاعل داخل حقل اشتغاله. هل فكرتم في اختيار مترجمي نصوصكم مستقبلا من المبدعين؟

○ ديواني الأخير "نحن هنا" صدر قبل أيام في تورونتو بكندا. وهذا الديوان ترجم من اللغة الدانمركية من طرف ب.ك. براسك وباتريك فريزن وهما معا كاتبان ممتازان. في إسطنبول، حظيت بترجمة بعض نصوصي للغة التركية من طرف كمال اوزر وهو شاعر موهوب. وفي المغرب، أعمالي ستستفيد من مهارتك الترجمية وأنا فخور بذلك.

في ما يتعلق بالترجمة، أميل عموما نحو النصوص المركزة والبليغة. أعمالي تعتمد على التعبير الدقيق والكلمة المناسبة. لذلك، لا أميل لا لـ"ترجمة معجم النص" ولا لـ"ترجمة قوة النص". لأن القصائد والقصص هما كل ما املك، يهمني كثيرا ألا يتم إفسادهما باسم الترجمة. أنا متيقن بأنك على صواب: فالشاعر المتألق هو دائما الأفضل لترجمة القصيدة الشعرية. ولكن لا يجب علينا ان ننسى بأن داخل العلماء أيضا ثمة شعراء مغمورين ينتظرون دورهم للازهار والتفتح.

❑ كلمة أخيرة؟

○ أريد أن أقول "شكرا جزيلا". لقد كان اللقاء معك ممتعا. أتمنى أن تؤسس في المستقبل هياكل جديدة للتبادل الثقافي بين بلدينا. أجيال جديدة ستنظر غدا إلى عصرنا الملتبس هذا وستبتسم. الإمبراطوريات والأنظمة السياسية لا تدوم إلا أوقاتا محددة، وحده الوعي الذي يوقظنا كل صباح لبحيي فينا الفرح والأمل لا يَفْنَى ولا يُقْهَرُ.

❑❑ أجيال جديدة ستنظر غدا إلى عصرنا الملتبس هذا وستبتسم. الإمبراطوريات والأنظمة السياسية لا تدوم إلا أوقاتا محددة. وحده الوعي، الذي يوقظنا كل صباح لبحيي فينا الفرح والأمل، لا يَفْنَى ولا يُقْهَرُ ❑❑

× باحث ومترجم مغربي